

فن السيرة الذاتية لدى سيد قطب Autobiographical art of Sayed Qutb

د. محمد فخر معين

الأستاذ المحاضر بقسم اللغة العربية في الجامعة الوطنية
للغات الحديثة إسلام آباد

د. محمد إقبال

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية في الجامعة الوطنية
للغات الحديثة إسلام آباد

Abstract

Sayyad Qutb is a personality who has influenced many through his views and ideologies. He has written an autobiography named: "A child from the village" which is an influential autobiography of the Egypt having a historical value. It tells about Sayyid Qutb's childhood life that he spent in the village of Musha in Egypt. Its tenderness style towards his childhood memories made it one of the classic contemporary Arabic autobiographies. It tells us about Egypt, its people, their customs, and social religious festivals in addition to relations of the people with their government. We can see a clear picture of the Egyptian society by studying this autobiography. This study aims to focus on his life and important aspects of his autobiography. First section will discuss his life in summarized way whereas the second section deals with his autobiography and major events, which he discussed.

Keywords: Sayyid Qutb, Egyptian contemporary literature, modern literature, Muslim Brotherhood, a child from the village.

شخصية سيد قطب شخصية متنوعة أثرت في الكثيرين من خلال آرائه وأفكاره، وقد أُلّف كتابًا بعنوان: "طفل من القرية" يحكي عن أيام طفولته التي قضاها في قرية موشا بمصر، فهو أديب، مفكر، مفسر للقرآن الكريم وناقد أدبي، كما قاد تنظيم الإخوان المسلمين لفترة وجيزة. أُلّف "طفل من القرية" بأسلوب رائع جعله نموذجًا للسيرة الذاتية الكلاسيكية العربية المعاصرة. تهدف هذه الدراسة إلى التركيز على حياته، والجوانب البارزة من كتابه: "طفل من القرية".

يشتمل هذا البحث على مبحثين وملخص، فالمبحث الأول يشمل التعريف بالأديب، وأما المبحث الثاني فيتحدث عن سيرته الذاتية "طفل من القرية".

المبحث الأول: التعريف بالأديب

اسمه الكامل سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، ولد في التاسع من شهر تشرين الأول لعام 1906م في قرية موشة وهي قرية من قرى محافظة أسيوط بمصر، وكانت نشأته في أسرة متدينة¹. وكانت له أخت تكبره بثلاث سنوات، وتهتم به أمه وأخته اهتماماً كبيراً، وهو يعبر عن ذلك في "طفل من القرية" قائلاً: "لم يكن يترك ليلعب في الشارع؛ حفاظاً على ملابسه النظيفة من القذارة، وحماية له من التلوث بأخلاق القرية وألفاظها البذيئة"².

كان سيد قطب من أسرة متدينة تربط أفرادها المحبة، وعاش في بيئة إسلامية، كما رباه والداه تربية حسنة ولهما أثر كبير في شخصيته، ونتيجة لذلك نشأ في ظل التعاليم الإسلامية، وهو أشد الحرص على أداء الصلوات الخمس في المساجد منذ نعومة أظفاره.³

نشأ سيد قطب في أسرة متميزة عن بقية أسر القرية وهو يوضح ذلك حيث يقول:

"كان والده قد صار عميد الأسرة المكلف بحفظ اسمها إلا أنه لم ينل من الميراث إلا نصيب محدود... لكنه حافظ على المظاهر إلى اللحظة الأخيرة.⁴ كما كان رجلاً متديناً في صفاته وأعماله بين سكان القرية ويقوم باهتمام بأمر الزراعة ويعطف على الفقراء ويساعدهم مما اضطر إلى بيع أراضيه.⁵ وذكر الأستاذ محمد توفيق بركات عن والده بقوله: أنه كان كريماً في الانفاق ويعتمد في معيشته على أراض واسعة، إلا أن نفقاته لا تتناسب مع مردود أرضه مما دفعه إلى بيع جزء من أراضيه لدفع الديون.⁶

وكانت والدته أيضاً من عائلة متدينة وعريقة في القرية⁷ التي لها مكانة مرموقة جمعت بين الواجهة العلمية والاجتماعية نظراً لإيفاد اثنين من أبنائها إلى القاهرة لتعليمها في الأزهر. كما أنها كريمة سخية تصنع الطعام بنفسها للفقراء الذين يأتون لتلاوة القرآن الكريم في منزلهم، وتعد الطعام للعمال الغرباء الذين يعملون في حقول الأسرة راضية.⁸ وكانت حريصة على تربية أبنائها تربية حسنة إيمانية، وتعتني بسيد عناية لكونه الابن الأكبر وتحاول أن تغرس في نفسه من الصفات الإيمانية، فقد كانت تريد منه أن يكون رجلاً يتحمل المسؤولية قبل أوانه، لذا كانت تنصحه ببعض ما كان يكدر صفو حياتها.⁹

عاش سيد قطب في أسرة شجعت ابنها البكر على الالتحاق بمدرسة القرية، فكان أن أظهر تفوقاً ملحوظاً في دروسه، وكان يكثر من الاطلاع على الكتب الأدبية بطبعه وبتشجيع من أساتذته وأهل قريته الذين توقعوا له مستقبلاً باهراً.¹⁰

كما كان يقرأ الجريدة اليومية - التي كان والده مشتركاً فيها - لمن يحضر لاستماعها في منزله من أهل قريته، كل هذا عمل على تكوين حصيلة ثقافية لديه بالإضافة إلى التصورات التي رسخت في ذهنه عن قصص الريف الخرافية

والأصوات التي ساعدت في تكوين الشعور المرهف لديه من فنون المحبين والغرباء وصياح المفجوعات من النساء وأدعية المصلين والأتقياء.¹¹

حفظ القرآن الكريم مبكراً ودرس أربع سنوات في المدرسة الابتدائية، وكان يتحدى زملاءه أن يمتحنوه في حفظه للقرآن، وأن يسمعو منه ما شأؤوا من السور والآيات.¹²

عاش أيام طفولته في القرية، وحصل على دراسته الابتدائية، ثم ذهب إلى مدينة القاهرة في سنة 1916م، والتحق بمدرسة المعلمين الأولية، ودرس فيها ثلاث سنوات، ونال منها إجازة "الكفاءة" للتعليم الأولي، ثم التحق بتجهيزية دار العلوم بسنة 1925م، ثم دخل كلية دار العلوم سنة 1929م، وتخرج فيها بشهادة البكالوريوس في الآداب سنة 1933م.¹³

عاش سيد قطب في البيئة التي ساعدته في تقوية حصيلته الثقافية منذ دخوله في مدرسة المعلمين حتى تخرجه من كلية دار العلوم، وكان يحمل قدراً كبيراً من العلوم الدينية والعربية بالإضافة إلى اطلاعاته الواسعة في علوم التاريخ والجغرافيا والفلسفة والفيزياء والرياضيات وغيرها وكان يعي تماماً ما يدرس ويفهم ما يقرأ حتى سبق جميع زملاءه وحاز اعجاب أساتذته، وكان يحب القراءة إلى درجة أنه لا يترك كل ما تقع عليه عيناه.

وتأثر بعدة أدباء تأثراً أدبياً وفكرياً وخاصة بشخصية العقاد الذي استفاد كثيراً من مكتبته وثقافته ومن آراءه في الأدب، والشعر والنقد والفن فصارت اهتمامات سيد قطب أدبية فنية لفترة طويلة من الوقت - مع أن المتوقع له أن يسير في طريق إسلامي لنشأته الدينية الأولى - وبعد علاقاته الأدبية والفكرية اتصل بالقرآن الكريم وتأثر بالشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا، وكان ذلك في سنة 1948م وهما يحملان الأفكار الإسلامية ويدافعان عن الإسلام ويمتهدان إلى تنظيم شؤون الحياة وإبراز سمات النظام الإسلامي.¹⁴

دخل سيد قطب في حياته العملية كمدرس في مدارس وزارة التعليم

والمعارف وعمل بعد ذلك في مناصب عدة في مراقبة الثقافة وفي التفتيش، كما أرسلته الوزارة إلى أمريكا للاطلاع على مناهج التعليم والتربية، حيث بقي هناك سنتين من 1948م إلى 1950م، وكان سفره إلى أمريكا بهدف التخصص في التربية وأصول المناهج والاطلاع على الثقافة الغربية، إلا أنه وجد أن حضارة هذه البلد تخلو من القيم والمبادئ.¹⁵

حياته السياسية

"فسدت الحياة السياسية في مصر فسادًا كبيرًا، بلغ الذروة في نهاية الملكية وإقصاء الملك فاروق على يد رجال الثورة في عام 1952م. ولم تكن الحياة السياسية بعد الثورة على يد عبد الناصر أحسن حالًا من الحياة في الملكية، حيث نخرها الفساد، وظهرت فئات من النفعيين والمرتشين والظالمين، وزادت الأحوال السياسية سوءًا وانحرافًا حتى وقعت هزيمة 1967م".¹⁶

وفي ظل هذه الأوضاع الاجتماعية والسياسية السيئة في مصر، بدأ سيد قطب يقترب إلى القرآن أكثر فأكثر، ويتعد عن الفساد والعلمانية، وبعد الأيام قرر أن بدأ حياته السياسية فانضم أولاً إلى حزب الوفد لكن سرعان ما حدثت حادثة حطم الدبابات الإنجليزية أبواب قصر عابدين مما أفقدت ثقة سيد بالحزب، ثم التحق بحزب السعديين، ثم تركه وبقي عشر سنوات دون انتماء سياسي لأي حزب.¹⁷

وبعد ثورة يوليو 1952م، اقترب سيد قطب من جماعة الإخوان المسلمين عندما ظهرت الخلافات بينه ورجال الثورة، ثم انضم إلى إخوان المسلمين سنة 1953م، التزم بها وبمناهجها، وأمضى بقية عمره معها.¹⁸

وقد حدثت حادثتان خلال وجود سيد قطب في أمريكا اللتين غيرتا طريقة تفكيره، وجعلتاها يجدد العزم على العمل للإسلام والمسلمين والانضمام إلى حركة الإخوان المسلمين، كانت الحادثة الأولى: هي مقتل حسن البناء، حيث احتفت أمريكا بموته، ونشرت الجرائد والمجلات الرسمية الأخبار والمقالات عن

موت عدو الغرب الأول في الشرق الأوسط.

أما الحادثة الأخرى فكانت لقاءه جون هيورث دن رجل المخابرات البريطاني في بيته، حيث حذر دن سيداً من حركة الإخوان المسلمين، وقدم له معلومات دقيقة عن الحركة، وأهاب به أن يقف وأمثاله من المثقفين المصريين في وجه الإخوان المسلمين، فأدرك سيد قطب صدق دعوة الإخوان المسلمين وكيد أعداء الأمة لهم، ومن ثم اتخذ قراراً بالانضمام للإخوان المسلمين.¹⁹

محنة الاعتقال

كان سيد قطب من أوائل الضحايا عندما وقع الصدام بين حركة الإخوان المسلمين والحكومة المصرية، حيث اعتقل على الرغم من علاقته الجيدة بالثورة ورجالها، وهو يجربنا "بأنه كان يعمل أكثر من اثني عشرة ساعة يومياً قريباً من رجال الثورة ومعهم ومع من يحيط بهم"²⁰ وقد عرضوا عليه مناصب عدة لكنه رفض.

وقد تم اعتقاله بتهمة التورط في محاولة قلب النظام الحكومي بعد "حادثة المنشية"²¹، واتهم فيها عبد الناصر حينئذ الإخوان المسلمين بمحاولة اغتياله يوم 1954/10/26م، حيث واجه سيد قطب المحاكمة يوم 1954/11/22م وأصدرت المحكمة حكماً بسجنه لمدة خمسة عشر عاماً، إلا أنه أُفرج عنه عام 1964م بعدما توسط الرئيس العراقي عبد السلام عارف.

تعرض سيد قطب في فترة السجن لأنواع مختلفة من التعذيب إلا أنه مثل قيادة جماعة الإخوان المسلمين من خلال كتبه ومؤلفاته التي كتبها في فترة السجن وتم تسريبها من هناك.²² ومن هذه المؤلفات "هذا الدين" و"المستقبل لهذا الدين" وأجزاء كثيرة من "الظلال" وكتاب "معالم في الطريق" ذلك الكتاب الذي أعده مؤلفه - على حد قول كثير من الباحثين-.²³

أعلن جمال عبد الناصر في سنة 1965م -أثناء زيارته لموسكو- عن مؤامرة اغتياله وقلب نظام الحكم دبرها تنظيم الإخوان المسلمين وذلك بقيادة سيد

قطب وتم اعتقاله مرة ثالثة يوم 1965/8/9م، وبدأت المحاكمة له في السجن الحربي في 1965/12/19م، وبعد تعرضه لتعذيب رهيب، صدر قرار الإعدام على سيد قطب واثنين من رفقاءه من محكمة الثورة يوم 1966/8/21م²⁴ وعلى الرغم من قيام المظاهرات في العالم الإسلامي، ووساطة عبد السلام عارف الرئيس العراقي آنذاك إلا أنه تم تنفيذ الحكم بسرعة مساء الأحد 1966/8/28م.

مؤلفاته

قام سيد قطب بكتابة عدة مؤلفات فكرية وإسلامية وثقافية، ومن أبرز هذه المؤلفات والأعمال: في ظلال القرآن الكريم، التصوير الفني في القرآن الكريم، المستقبل لهذا الدين، طفل في القرية، الشاطئ المجهول - ديوان شعر، نقد كتاب "مستقبل الثقافة في مصر" لطفه حسين.

المبحث الثاني: طفل من القرية لسيد قطب

سيد قطب شخصية عجيبة وفريدة من نوعها، فهو أديب، مفكر، كاتب السيرة الذاتية، مفسر للقرآن الكريم، ناقد، عاش حوالي ستين عاماً، وقاد تنظيم الإخوان المسلمين. وقدم في حياته نموذجاً رائعاً في الصبر والثبات عند أشد أنواع التعذيب والعمل والدعوة، وبذل الجهود الجبارة في سبيل تحقيق هدفه، حيث كان من المعتقلين الأوائل عندما اعتقلت الحكومة رجال الثورة بتنظيم الإخوان المسلمين.

وقد لقي سيد قطب ربه في ليلة يوم الإثنين بتاريخ 1966/8/29م مجاهدًا في سبيل تحقيق هدفه الرفيع وإعدامه كسب له الحياة الحقيقية.²⁵

كتب سيد قطب سيرته الذاتية (طفل من القرية) وأهداها إلى صاحب كتاب "الأيام" الدكتور طه حسين، حيث يقول مخاطباً إياه: "إنها يا سيدي أيام كأيامك، عاشها طفل من القرية، في بعضها من أيامك مشابحة، وفي سائرها عنها اختلاف"²⁶. نرى سيد قطب قد كتب سيرته على نهج سيرة طه حسين، حيث استخدم ضمير الغائب في حديثه.

ويبرز سيد قطب هدفه من تأليفه "طفل من القرية" وهو هدف تاريخي بقوله: "هذه صور من حياة القرية، عاصرت طفولتي منذ ربع قرن من الزمان، لم أتمق فيها شيئاً، ولم أصنع أكثر من نقلها من صفحة الذاكرة إلى صفحة القرطاس. وفي تسجيله هذا احتفاظاً بصفات من الحياة القومية والتاريخ الحديث في سجل الفنون".²⁷

وقد نشأ فيها ولم يغادرها إلا عندما أراد الالتحاق بالمدرسة الثانوية أي في شبابه، وهذه القرية تركت أثراً عظيماً عليه وساهمت في تكوين شخصيته. وتميزت قريته بأمور شتى منها: "لم تكن هناك فوارق كبيرة مادية بين أهالي القرية أي أن مستوى المعيشة في القرية بشكل عام متوسط بدليل أن الأطفال إذا فرحوا بالملايم كان سيد في كفه بضعة قروش، وإذا نال بعض الصغار قطعاً من الحلوى كان حظه منها وافراً تعده أم رؤوم مدبرة من نفقة أب كريم وسع الله عليه بعض الشيء".²⁸

لم تكن الملكيات الكبيرة واسعة، بل أكبر ملكية زراعية لم تتجاوز مائتي فدان، ومستحيل أن يكون فرد أو بيت في القرية لا يملك قطعة أرض صغيرة أم كبيرة،²⁹ ولكل أسرة بيت مملوك صغيراً كان أو كبيراً، أما الأكواخ الطينية فلم تكن معروفة في القرية، وكان أكثر من نصف بيوتها مبنيا بالطوب الأحمر وسائرهما من اللبن. وكان معظم البيوت تتألف من طابقين أو ثلاث وبعضها يصل إلى الأربع وندر أن يتألف المنزل من طابق واحد حتى بيوت الفقراء.³⁰

يعتمد سيد قطب على ضمير الغائب في سيرته الذاتية ويطلق عليه (الطفل من القرية) ويبدأ سيرته تحت عنوان (المجذوب) حيث يكشف عن الخلل العقائدي والفكري المسيطر على معظم قرى مصر في تلك الفترة المعينة. يكتب سيد قطب بأسلوب أدبي رائع، يرسل القارئ إلى عالمه وهو يحس كأنه معه يمر بأحداث الخوف والرعب، والسبب ربما هو أن سيد قطب يتحدث على لسان طفل القرية وكل ما يدور في ذهنه من الأساطير والقصص.

ثم يتحدث سيد قطب تحت عنوان (ضابط الجمباز) عن نشأته وأسرته ومرحلته الدراسية الأولى، ثم يتحدث عن قصة ضابط الجمباز الذي عينه مجلس المديرية ليطوف المدارس، ويعلم التلاميذ الألعاب الرياضية، وهو يقول بهذا الصدد: "إن الرجل يبدو في خيال هؤلاء التلاميذ الريفيين، وكأنه الشيطان في سرعة الحركة وخفة الوثب وحفظه العجيب للجمباز فكان هذا من زعقاته فيهم، وتكشيراتهم لهم وعصاه التي يهزها في يده مهدداً... كان له مثال رعب جارف، حتى لقد كان يوم حضوره عندهم كيوم الحشر يشيب الولدان وطالما سمع هو من ابن خالته الذي يكبره عن هذا الشيطان - ضابط الجمباز - حتى لقد كان هذا الذي يسمعه من بين الأسباب التي تصده عن المدرسة على الرغم من كل المغريات".³¹

وقد أثار الرعب في قلب الطفل الصغير بعد كل ما سمعه عن ضابط الجمباز والذي غاب عن مدرسته يوم حضور هذه (الألعاب)، وهو يقول: "يخوفونه بما لا تحتمله أعصابه من المبالغات، فهذا الضابط لا يكتفي بضرب من لا يؤدي جميع الحركات الصعبة المعقدة، بل إنه ليلقعه من رجليه في شجرة المدرسة، ويتركه مدلى ساعة كاملة، وإنه ليرفعه من أذنيه أو شعر رأسه عن الأرض، ثم يلقيه وهكذا مرات متواليات، وأنه ليفرك أذنه بحصاة صغيرة مع الضغط الشديد بإصبعه".³²

ويتحدث سيد قطب عن المدرسة بالتفصيل وكل ما حدث لها من تطوير من سنة أخرى، وكيفية زيادة في عدد مدرسي الوزارة أدت إلى استغنائهم عن الشيخ أحمد معلم الكُتاب.

وقرر والد سيد قطب في ذلك اليوم إعادته إلى الكتاب وهو حزيناً حزناً شديداً، كما يتحدث عن مشاعره بقوله: "لا يذكر أن قلبه الصغير قد عرف من قبل الهم الذي عرفه ذلك اليوم، ولا أن صدره ضاق وجرح كالיום أيضاً".³³

ثم يتحدث سيد قطب عن الكتاب والمدرسة، ويعبر عن إعجابه بهذا

النظام الجميل، وهو يفتخر بفوزه على طلاب الكتاتيب في مسابقة حفظ القرآن الكريم كما يذكر عن بعض الشائعات المنتشرة في قريته حول المدرسة ومدرسيها. كان سيد قطب يحب أساتذته ويحترمهم، ويكشف عن حبه لهم بقوله: "يذكر أن أحدهم كان قد نسي ساعته، فانتدبه وسلمه المفتاح ليأتي له بها إذ كان معروفاً بأمانته في المدرسة، ويذكر أنه دخل الدار متهبياً متوجساً كأنه يدخل محرماً مقدساً أو داراً مسحورة، وهو يخطو وهو يصعد الدرج وهو يفتح باب الحجرة المقدسة وهو يتناول الساعة ثم يغلق الباب ويعود كأنه (الشاطر حسن) داخل الكنز المسحور!"³⁴

ولا شك أن مدرسة القرية أيضاً دوراً كبيراً في التأثير فيه حيث غرست في نفسه حب النظافة والنظام وعلمته كيفية احترام المعلمين وحبهم لدرجة أنه كان - رغم صغر سنه - يتمنى أن يكون مثلهم... كيف لا وقد كان يكن لهم تقديراً ملاً عليه أقطار نفسه.³⁵

ثم يتحدث سيد قطب عن أيام فيضان النيل والظروف الصعبة التي يمر بها تلاميذ المدرسة، فيقول: "لقد كان التلاميذ يقفون على الشط أو يبعدون في شوارع القرية القريبة أو يقفزون أو يتصايحون في فناء المدرسة يدخلون الحجرات ثم يخرجون منها في غير ما حرج... وكانت الجرأة تبلغ ببعضهم أن يخلعوا ملابسهم ويلقوا بأنفسهم في الماء من النوافذ فيسبحوا ثم يعودوا فيتسلقوا النوافذ حيث يجدون ملابسهم أو حيث لا يجدونها إذ ينتهز بعض زملائهم هذه الفرصة فيخفونها أو ينقلونها إلى مكان بعيد، حيث يدور الطفل يبحث عنها وهو عريان في كل مكان في المدرسة حتى يهتدي إليها أخيراً".³⁶

ويروي سيد قطب القصص المتعلقة بحياته في القرية كما يذكر لنا أسلوب التعليم في ذلك الزمن بقوله: "كان الشيخ مغماً بتدريس الإعراب لتلاميذ المدرسة، لكن ماذا يعنيه هو... إنه يستدعي تلميذاً منهم ليكتب على السبورة، فقد كان خط الشيخ لا يقرأ، ويملي عليه أبيات كاملة من الشعر ثم يكلف

التلاميذ أن يعربوها، فإذا لم يعرفوا ففيه هو البركة، وإنه ليحفظهم الإعراب تحفيظاً".³⁷

ويتكلم عن بعض الممارسات السيئة من قبل الشبان بعد التحاق الفتيات بالمدرسة وهو يقول: "كانت المدرسة قد فتحت أبوابها لبنات القرية أخيراً على أن يتعلمن مع الصبيان... فإن وجودهن في المدرسة قد أوجد فيها جواً غريباً... مزيج من الحساسية الحادة... ولكن هذا كله لم يمنع بعض التلاميذ وخاصة الكبار منهم، أن يأخذوا إلى معاكسة البنات عند انصرافهن من المدرسة، بالكلمات التي قد يكون بعضها نابياً، وبالحركات والأصوات العابثة... وكان الغرض كله هو لفت النظر بطبيعة الحال"³⁸.

ثم يتحدث سيد قطب عن الجهل المنتشر في قريته وعن موقف أهل القرية العجيب المناوئ لتطعيم الحكومة ضد الأمراض في القرية حيث كانت الأمهات يعارضن هذا التطعيم وهو يقول في هذا الصدد: "ما إن يعلن هذا في القرية حتى ترتج وترتجف فتخرج الأمهات إلى الشوارع مولولات مذعورات، يلتقطن أطفالهن من كل مكان في ذعر وعجلة، ثم يغلقن على أنفسهن الأبواب، ويكسرونها بمساعدة الخفراء".³⁹

ثم يتكلم سيد قطب عن طريقة الحكيم أو الممرض لعلاج المرضى وأهميته لأهالي القرية حيث يقول: "ومن بين هذه الجموع الدائبة الحركة، الكثيرة العدد، كان هناك رجل ملحوظ... كان طويلاً نحيفاً أبيض البشرة يرتدي جلباباً أبيض نظيفاً مفصلاً على طريقة البندر لا طريقة القرية، ويرتدي فوقه ميدعة نظيفة كذلك، ويلبس في قدميه شبشباً بادي الأناقة... (ويضيف) فلقد كان هو المشرف على علاج هذا العدد الضخم من المسومين. ذلك الرجل الملحوظ هو السيد الحكيم".⁴⁰

كما يتحدث عن بعض الخلل الفكري والعقائدي لدى أهل القرية وموت صديقه (جمعة) بسبب العفريت حسب ظن الأطفال وهو ظل في حالة

مرضية حرجة حتى مات بعد ثلاثة أشهر، وسيد قطب يعبر عن مشاعره عند المشاركة في جنازته بقوله: "وسار في جنازة رفيقه بيكي، وكانت هذه أول جنازة يشهدها، وارتسمت الحادثة كلها في ذاكرته لا تنسي.. ولم يعد إلى هذه الجلسة القمرء إلا بعد مضي ثلاث سنوات، حينما بلغت سنه العاشرة وصارت له في العفارىت عقيدة جديدة".⁴¹

ثم يكشف سيد عن الحركة الثقافية في القرية حيث يقول: "تلك ثلاثة أيام أو أربعة في بعض أشهر السنة... كان يصل فيها إلى القرية (عم صالح) حاملاً على كتفه غرارة (زكية) حافلة بالكتب، فيجلس في سوقة القرية متربعاً فوق الغرارة بعد إفراغها، ويرص أمامه صفوفاً، حسب قيمتها، أو حسب موضوعاتها!".⁴²

ومن بين هذه الكتب كتب (الشعر) وقصص أبي زيد وقصص الزبير سالم وكليب وقصص الزناتي خليفة ودياب بن غانم وكتب المدائح والسير وكتب البطولة وكتب الأميرة ذات الهمة والملكة حنة والكتب الدينية والبوليسية وكتب الثقافة العامة، وسيد قطب يحب تلك الأيام بمجيء عم صالح ويعتبرها أجمل أيام السنة؛ لأنه كان يشتري القصص والكتب بقدر استطاعته وهو يقول: "فإذا نفذ الرصيد استعان بوالده فطلب منه القرش القرشين والخمسة في بعض الأحيان.. وإنه لمبلغ جسيم في ذلك الحين، فسنة لم تكن تجاوز العاشرة"⁴³ وهذه السطور تشير إلى حبه الشديد للكتب والقراءة والمطالعة.

وأشار إلى علاقته بشراء الكتب من البائع الجوال حيث يقول: اشتهر صاحبنا بالكتب والقراءة في أوساط المثقفين بالقرية فارتفع في أعينهم درجات وأخذ الجميع يتوقعون له بالمستقبل الزاهر... ماذا؟ وهو في صغره يمتلك مكتبة ضخمة يبلغ من ضخامتها أن تملأ صندوقاً كاملاً.⁴⁴

ثم يكشف سيد قطب عن القضية الأسرية الموجودة في القرية وهي السرقة، وهو يقول عنها: تقع في كثير من الأحيان سرقات من البيوت، ويسرق

الأبناء من والدهم وزوجة الابن من الأم أو الأب أو زوجة صاحب الدار كما يسرق الخدم من أهل البيت إذا كانوا أثرياء والسبب يرجع إلى الحالة الاقتصادية التي تجعل المصروفات اليومية متعسرة، حيث أن الوالد هو الذي يملك كل الأموال في يده وهو يمول الأسرة لاحتياجات الأسرة من الطعام والشراب، ويظل الآباء يكفلون أبناءهم وأسرهم حتى يموت الوالد فيرث الأبناء. فإذا كبر الولد احتاج إلى السرقة، لأنه لا بد أن ينفق شيئاً في مجامع الشبان أمثاله ويشاركهم في الشاي واللحوم، أو له حاجة إلى تقديم هدية إلى زوجته إذا كان متزوجاً فهو لا يملك من المال، فيلجأ إلى السرقة.⁴⁵

وثم يتحدث عن طريقة أهل قريته في تحديد السارق وهي الحلف على كتاب البخاري أو طريقة المندل وطريقة الفنجان. واليمين على البخاري لها تقاليد خاصة فلا بد أن ينتقل صاحبه به إلى الدار المسروقة ليتولى تحليف المتهمين بالسرقة اليمين في مقابل أجر معلوم.

ويتحدث سيد قطب تحت عنوان (قانون اللصوص) عن حرجور بقوله: "كان حرجور هذا لصاً، ولكنه لم يكن اللص الوحيد في القرية إلا أنه دون من يسمع عنهم جميعاً كان يسبب له الفزع الذي يتحول بسرعة إلى مقت، حتى ليود أن يقابل الشيطان ولا يقابل هذا الرجل بالليل والنهار، ولم تكن امرأة حرجور من القرية، بل كان أصلها (عجرية) عشقته في شبابه (فحازها) كما يعبر أهل القرية عن العشيقات، ثم تزوجها. تعشقه لأنه كان فاتكاً من الفتاك (ولد الليل)".⁴⁶

ويكشف ظاهرة اللصوصية في القرية حيث يقول: "فاللصوصية في الريف حرفة معترف بها في أغلب الأحيان! حرفة لها أصولها وتقاليد لها قوانينها المعلومة للجميع".⁴⁷

ويتحدث عن نوع اللصوص وأهدافهم وراء ذلك حيث يقول: "هم أبناء الأثرياء... وميزتهم أنهم لا يقاسمون في الكسب، فما خرجوا ليسرقوا، ولكن ليغامروا، ولعل هذه بقية تقاليد الأعراب التي اندست في البيئة المصرية والتي تعد

الفتك والسلب بطولية وشجاعة".⁴⁸

ثم يكشف عن قوانين أولئك اللصوص وهي:

- (الرجال للرجال) يعني لا يسطو اللص على منزل لا رجال فيه أو يوجد فيه رجال ضعفاء عجزة، والذي يسطو على بيت أرملة يعتبر ضعيف، ويعتبر اللصوص (كبار اللصوص) هم الذين يسطون على بيوت الأقوياء والأثرياء وهم محل احترام للجميع.
- تقسم القرية إلى أقسام وكل قسم يأتي تحت اختصاص فرد ولا يجوز للآخر أن يتعدى على اختصاص صديقه.
- والذي يرد المسروق لا يسرق مرة أخرى.

وتقع عمليات السطو دائما على البيوت والحقول لأخذ الثأر وليس للسرقة فقط، ويروي سيد قطب عن حادثتين رهيبتين لا تزالان في ذاكرته:

الأولى: أن أسرته استيقظت يوما من الأيام وفوجئوا ببهائمهم جميعاً إما مبقورة البطون وإما ممزقة الأحشاء وإما مسمومة بمادة كيميائية دست في الأمعاء... كانت القسوة المقيتة تتجلى في هذه الجريمة، فهذه العجماوات يراها تتلوى من الألم القاتل، ولا ذنب لها إلا أن شقياً لئيماً أراد الانتقام من أصحابها.

الثانية: ثلاثة شبان أشقاء تزوج أحدهم ابنة عمه ثم أراد عمه أن يطلقها منه فأبى، فرفع عليه دعوى في المحكمة الشرعية وفي يوم من أيام الجلسات كان هذا الشاب ذاهباً إلى المحكمة مع شقيقه لحضور المحاكمة وفي الحقل الممتدة كمين لهم العم والذين معه وقتلوا الثلاثة ورموهم وسط الحقول وانصرفوا وظلت القرية تبحث عن الجثث حتى انبعثت الرائحة وشاعت الإشاعات.

ثم يتكلم سيد قطب تحت عنوان (جمع الأسلحة) عن حادثة جمع السلاح في قريته وكيف ينفذ رجال الإدارة أمراً عسكرياً أصدرته السلطات الحكومية في ظروف كان فيها جميع أصحاب الحقول والمواشي واللصوص في القرية حريصون على اقتناء أسلحتهم؛ لأن الأولون يريدون الحفاظ على ممتلكاتهم

والآخرون يعتبرون أسلحتهم وسيلة لكسب الرزق، ويتحدث سيد قطب عن هذه الظروف بقوله: "ولكن الأمور لا تجري في القرية بالعنف، ولا حسب الأوامر الرسمية، إنما تجري حسب المواصفات العرفية، فالعمدة يعلم بالضبط كم قطعة سلاح في كل بيت، وما نوع كل قطعة، فإذا طلبت الحكومة جمع السلاح، اتفق مع بعض من يملكونه على تقديم القطع القديمة منه، ولكي لا تكون المسألة مكشوفة، فإن بعض القطع الحديثة تزين المقدار المجموع... وطبعي أن هذا كله لا يتم بالمجان، فلكل شيء ثمن".⁴⁹

إلا أن أحد الضباط استخدم طريقة العنف الجديدة حيث قام بتطويق القرية وجمع مشايخها وخوفهم من التعذيب والضرب والجلد حتى يكشفوا عن أسماء من يملك الأسلحة، وبهذه الطريقة المبتكرة استطاع جمع كمية كبيرة من الأسلحة.

ويرسم سيد قطب صورة القرية في نهاية ذلك اليوم حيث يقول: "في نهاية اليوم كانت الأسلحة المجموعة تصنف أكواماً أكواماً... والضابط العظيم ينظر مرتاحاً منتفشاً... وكان في كل بيت من بيوت القرية مناحة صامتة. فهذا مشجوج الرأس، وذلك مرضوض الأضلاع، وذلك ملتهب الجلد وهذا ممزق الأشداق.. وكان نسوة وأطفال يغدون ويروحون بالزيوت وكمادات الماء الساخن والبارد يسعفون بها المصابين".⁵⁰

ويتحدث سيد قطب تحت عنوان (الحصاد) عن موسم الحصاد الذي يعتبر من أهم المواسم وفيضان نهر النيل وكيفية غطاء الطمي لأراضي القرية الزراعية ومع ذلك بدأ الفلاحون القرويون بالزراعة حتى تنبت هذه الأرض للناس والماشية طعام العام.

كما يصف سيد قطب حالة القرية الاقتصادية بالجيدة حيث يفد كثيرون من القرى المجاورة إلى قريته كل عام باحثين عن العمل نظراً لأن حالة قريته أفضل بكثير مقارنة بالقرى المجاورة وقلّة الأيدي العاملة في القرية مقارنة مع فرص

العمل الموجودة فيها، حيث يقول: "كانت أغاني هؤلاء الناس الشجية التي تقطر بالمرارة والأسى في رجولة وتحمل تستجيش في نفسه الصغيرة انفعالات لا يديرها ولا يحاول التعبير عنها. ولكنه أبداً يحنّ إليها وينتظرها من العام للعام، ويستكثر من انشادها ويطلب المزيد منها أن صمت القوم من التعب والاعياء... وهم في كل مرة يجيئونني إلى ما يطلب. فهو ابن سيد البيت الصغير ثم هو صديقهم فردا فردا ورئيسهم بوجه خاص.. فكل مطالبهم من الدار وأهله تتم عن طريقه".⁵¹

كما يتكلم عن مستوى المعيشة في قريته بقوله: "أما مستوى المعيشة في القرية فهو مستوى معقول بالقياس إلى القرى المجاورة - فأفقر بيت يأكل اللحم كل أسبوعين مرة وغالبا ما يأكلونها كل أسبوع، والسمن البلدي معروف في البيوت جميعا. والفاكهة من البطيخ والشمام والبلح والرمان والنبق والقنء والخيار والجوافة والتفاح البلدي والقصب تدخل البيوت جميعاً مع اختلاف المقادير".⁵²

كما يتحدث تحت عنوان (أحزان الريف) عن أحزان أهل القرية وهي بيع قطعة من الأرض للحفاظ على مستوى الحياة التي يعيش فيها الفلاح القروي وموقف أمه تجاه بيع أبيه لبعض أراضيها الزراعية وعندما عاد من المدرسة وجد أمه تبكي بكاءً شديداً حيث تطالب منه استعادة تلك الأراضي التي باعها والده عندما يكبر، واستعادة الأراضي لن تحدث إلا بعد أنه يجتهد في دراسته ويصبح الأبندي.

ويتحدث سيد قطب عن العلاقة الودية كانت قائمة بين أفراد القرية ولا مجال فيها للحقد الطبقي أو استعباد الآخرين وهو يقول: "لم يكن هناك خدم بالمعنى المعروف في المدينة... كان الخادم في القرية إنساناً فقيراً محتاجاً إلى العمل، ولكنه لا ينطق بكلمة (سيدي) المقيتة بل يستعيز عنها بكلمة (عمي) لسيد البيت، وكلمة (امرأة عمي) لسيدته... ثم هو يعمل في الدار أو في الحقل أو في تربية المواشي طوال اليوم فإذا جن الليل عاد إلى بيته وأهله".⁵³

لقد كان أثر القرية وما تحتويه على سيد قطب واضحاً جلياً، فالمناظر

الطبيعية الفاتنة من منظر المياه التي تغطي الأرض إلى منظر الأرض المعدة للنبات إلى منظر العمال الذين يبذرون الحبوب في الأرض ويعملون بجد ونشاط إلى منظر الدور المتشابهة في الارتفاع والبناء إلى منظر الأشجار المثمرة المختلفة الأشكال والألوان.... إلى غير ذلك من المناظر، كل ذلك ترك أثراً كبيراً في نفسه، فإذا كانت عيناه تقع على تلك المناظر وغيرها فلا شك في الحصول على رصيد ضخم من الجمال في مخيلته... كل ذلك وغيره قد أثر في حسه، وساعد في بناء شخصيته وشعوره المرهف، ومن ثم نشأته في أسرة متدينة قد غرس في نفسه أيضاً الشيء الكثير: فوالده كان كثيراً ما يصلي في المساجد ويسير والخوف من اليوم الآخر نصب عينيه، وكان كريماً معطاءً يحب العطف على المساكين... ووالدته كانت كثيراً ما تتصدق على فقراء القرية، وكانت تنصت إلى القرآن بخشوع على النحو الذي اسلفت القول فيه، كل هذا غرس في قلبه ونفسه المبادئ الإيمانية السليمة من حفظ القرآن الكريم إلى المحافظة على الصلاة في المساجد، ومن محبة المساكين والعطف على الفقراء ومساعدة المحتاجين الذين يحس أنهم مظلومون أمثال العمال الغرباء الذين أطلع على أسرارهم، وأحوالهم وعرف طريقة حياتهم، وكل ما يتعلق بهم. ولا ننسى أثر مدرسة القرية عليه.⁵⁴

بعض النقاط المهمة عن سيرة سيد قطب:

- يأتي سيد قطب في كل جزء من سيرته الذاتية بالعناوين التي تتوافق مع السطور.
- جميع الأحداث التي يذكرها سيد قطب في سيرته تدور حول الحياة في القرية وفي فترة طفولته حيث يكشف لنا مشاعره.
- يركز سيد قطب على حياة القرية في سيرته الذاتية ولهذا أطلق عليها اسم (طفل من القرية) فيكشف عن حياة القرية الاجتماعية.
- تناول سيد قطب الموضوعات المتعلقة بحياة القرية وأهلها فقط.
- سيرة سيد قطب الذاتية (طفل من القرية) قريبة إلى الرواية نظراً لذكر

الأحداث المترابطة فيها.

ملخص البحث

- سيد قطب شخصية متنوعة فهو أديب، مُفكّر، كاتبُ السيرة الذاتية، مُفسّر القرآن الكريم، ناقدٌ، قَادَ تنظيم الإخوان المسلمين.
- كَتَبَ سيرته الذاتية في أسلوبٍ أدبيٍّ رائعٍ بعنوان "طفل من القرية" على نهج سيرة طه حسين بضمير الغائب. يتحدث خلالها ذكرياته في أيام طفولته في القرية التي تجلب القارئ إلى عالمه.
- ويعكس طفل من القرية أصدق صورةٍ للمجتمع المصري في ذلك الزمن من أيام تعليمه والقصص والأساطير عن القرية والقصص المتعلقة بحياته إلى ذكر بعض الخلل الفكري والسلوكيات الغريبة الموجودة في القرية.
- ويأتي سيد قطب في كل جزء من سيرته الذاتية بالعناوين التي تتوافق مع السطور.
- كما أن جميع الأحداث التي ذكرها في سيرته تدور حول الحياة في القرية وفي فترة طفولته حيث يكشف لنا مشاعره.
- ونرى أنه ركز على حياة القرية في سيرته الذاتية، ولهذا أطلق عليها اسم (طفل من القرية)، فكشف عن حياة القرية الاجتماعية.
- كما أنه تناول الموضوعات المتعلقة بحياة القرية وأهلها فقط.
- وتعتبر سيرته الذاتية (طفل من القرية) قريبة إلى الرواية نظرًا لذكر الأحداث المترابطة فيها.

الحواشي والهوامش

- 1- صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، (دار القلم، دمشق، 1999م، ص15).
- 2- سيد قطب، طفل من القرية، الدار السعودية للنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ص33.
- 3- صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، ص55.
- 4- يوسف العظم، الشهيد سيد قطب حياته وآثاره ومدرسته، دار العلم، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1400هـ/1970م، ص 23-24.
- 5- مهدي فضل الله، مع سيد في فكره السياسي والديني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1398هـ/1978م، ص 43.
- 6- مُجّد توفيق بركات، سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه في الحركة - النقد الموجه إليه، دار التوحيد، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ص9.
- 7- يوسف العظم، الشهيد سيد قطب حياته وآثاره ومدرسته، ص23-24.
- 8- سيد قطب، طفل من القرية، ص166.
- 9- المصدر نفسه، ص173-180.
- 10- مُجّد توفيق بركات، سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه في الحركة - النقد الموجه إليه، ص9.
- 11- يوسف العظم، الشهيد سيد قطب حياته وآثاره ومدرسته، ص21.
- 12- مُجّد توفيق بركات، سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه في الحركة، ص9؛ و سيد قطب، طفل من القرية، ص41-43.
- 13- حسن بن محمود، مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب، دار الجبهة للنشر والتوزيع، 2008م، ص6.
- 14- مُجّد توفيق بركات، سيد قطب خلاصة حياته، ص14.
- 15 _ المرجع نفسه، ص15.

- 16- صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م، ص109.
- 17- د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب الشهيد الحي، مكتبة الأقصى، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1981م، ص100.
- 18- د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، دار الشامية، بيروت، الطبعة الرابعة، 1981م، ص318.
- 19- حسن بن محمود، مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب، دار الجبهة للنشر والتوزيع، 2008م، ص8.
- 20- سيد قطب، لماذا أعدموني، الشركة السعودية للأبحاث والتسويق، (وهو الإقرار الذي كتبه سيد قطب بخط يده في السجن بتاريخ 1965)، ص13.
- 21- حادثة المنشية هي حادثة إطلاق النار على رئيس مجلس الوزراء آنذاك جمال عبد الناصر، في 26 أكتوبر 1954 أثناء إلقاء خطاب في ميدان المنشية بالإسكندرية بمصر. وقد تم اتهام الإخوان المسلمون بارتكاب هذه الحادثة وتمت محاكمة وإعدام عددا منهم، رغم نفي الجماعة لذلك.
- 22- عبد الباقي حسين، سيد قطب حياته وأدبه، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1986م، ص17-47.
- 23- يوسف العظم، رائد الفكر الإسلامي المعاصر الشهيد سيد قطب، الدار السعودية، الطبعة الأولى، 1400هـ/1980م، ص164.
- 24- المستشار عبد الله العقيل، من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، 1426هـ/2001م، ص656.
- 25- د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب، ص317.
- 26- سيد قطب، طفل من القرية، ص1.
- 27- المرجع نفسه، ص1.
- 28- يوسف العظم، الشهيد سيد قطب، ص20.
- 29- سيد قطب، طفل من القرية، ص157.

- 30- المرجع نفسه، ص 157.
- 31- المرجع نفسه، ص 10.
- 32- المرجع نفسه، ص: 10
- 33- المرجع نفسه، ص 15.
- 34- المرجع نفسه، ص 20-21.
- 35- منهج سيد قطب في ظلال القرآن، (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه): أسماء بنت عمر حسن فدعق، (جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية).
- 36 - سيد قطب، الطفل من القرية، ص 19.
- 37 - المرجع نفسه، ص 23.
- 38- المرجع نفسه، ص 26.
- 39- المرجع نفسه، ص 28
- 40- المرجع نفسه، ص 38.
- 41- المرجع نفسه، ص 46.
- 42- المرجع نفسه، ص 59.
- 43- المرجع نفسه، ص 58-59.
- 44- المرجع نفسه، ص 113.
- 45- المرجع نفسه، ص 63.
- 46- المرجع نفسه، ص 71
- 47- المرجع نفسه، ص 72
- 48- المرجع نفسه، ص 74.
- 49- المرجع نفسه، ص 79.
- 50- المرجع نفسه، ص 84.
- 51- المرجع نفسه، ص 160.
- 52- المرجع نفسه، ص 158.
- 53- المرجع نفسه، ص 158.

54- المرجع نفسه، ص 127.

* * * * *